التجديد الحضري للمدن العتيقة بالمغرب: تجربة مدينة وجدة

The Urban renewal of ancient cities in Morocco: The Case of Oujda City

زروق حكيم، باحث دكتوراه، جامعة محمد الأول وجدة، المملكة المغربية

zarroukjjd@gmail.com

تاريخ ارسال المقال:2018/07/17

تاريخ قبول المقال للنشر:2018/09/30

الملخص:

تعتبر مدينة وجدة من المدن المغربية القديمة، مر على نشأتها أكثر من ألف سنة، فهذا العمق التاريخي مكنها من احتضان موروثا عمرانيا متنوعا لا يزال شاهدا على عبقرية الإنسان المغربي. هذه المعالم العمرانية التي تخلد التاريخ المحلي والجهوي، قد طالها بعض التدهور نتيجة عوامل مختلفة، لكن هذا التدهور لم يأخذ كثيرا من معالمها الشاهدة على الأزمنة الغابرة. فمع بداية الألفية الثالثة، انطلقت عملية تهيئة وتأهيل واسعة للعديد من معالمها التاريخية.

تتناول هذه الورقة البحثية موضوع التجديد الحضري الذي يشكل تحديا أمام الأنسجة العمرانية العتيقة من خلال مقاربة تروم ضمان تجويد الإطار الاجتماعي ومحيط العيش لساكنة فقيرة مع الحفاظ على تراث المدينة الثقافي وإرثها التاريخي، وهذا بالتركيز على أهم التدخلات والمشاريع المنجزة لإعادة تأهيل التراث العمراني للمدينة القديمة لوجدة، وتقييم آثارها ونتائجها على جميع المستويات تحقيقا لفلسفة سياسة التجديد الحضري بالمدن العتيقة.

الكلمات المفتاحية:

المدينة العتيقة، التجديد الحضري، المشروع العمراني، التأهيل الحضري.

Abstract:

Oujda, a city founded a thousand years ago, has a special architectural touch, showing the intelligence and high talents of Moroccan architecture. This monumental heritage summarises the local and regional history. However, many sides have been destroyed due to many reasons, though the local authorities have made great efforts to requalification what was lost.

this article deals with the subject of urban renewal, which represents a challenge for the old urban tissue, through an approach aimed at improving the social environment and the living environment of a poor population, while preserving the cultural and historical heritage of the city, is focusing on the most important intervention and project undertaken to rehabilitate the urban heritage of the ancient medina of Oujda, and will evaluate its effects and results at all levels in order to concretize the philosophy of the urban renovation of the ancient medina.

Keywords:

Ancient Medina, Urban renovation, Urban Project, Urban Rehabilitation

1. مقدمة :

يحفل المغرب برصيد من المؤهلات التراثية والتاريخية، المتمثلة أساسا في مجموعة من المدن القديمة والقصور والقصبات، التي تعكس بأشكالها المعمارية المختلفة حقبا تاريخية توالت على المغرب، كان لها بالغ الأثر نحث ذاكرة المجتمع، وتعتبر المدن القديمة التي تأتي في مقدمة هذه المؤهلات التراثية كعنصر أساسي في التنمية وجزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية والذاكرة الجماعية المشتركة، فقد عمل المغرب في السنوات الأخيرة على إيلائه أهمية خاصة وتبويئه مكانة هامة في سياسة الدولة، أولا من خلال تعزيز إطاره السياسي والمؤسساتي والقانوني، ثم أيضا عن طريق تقوية ودعم دور قدرات الفاعلين والمتدخلين فيه، الشيء الذي أفرز وعيا وإلماما متزايدين بواقع المدن العتيقة، سواء من حيث مشاكلها وتحدياتها، أو فيما يتعلق بطرق مقاربتها ونهج تدبيرها.

ويأتي طرح موضوع "التجديد الحضري للمدن العتيقة بالمغرب: تجربة مدينة وجدة" بحكم توفرها على مدينة عتيقة، تعتبر من بين أقدم المدن المغربية، إذ يتعدى عمرها زهاء 10 قرون، ومن ناحية ثانية إبراز ما تعرفه مآثرها العمرانية والتاريخية من تدهور في العقود الأخيرة نتيجة غياب وعي الساكنة المحلية بأهميتها من جهة، وغياب تنسيق جهود مختلف الفاعلين من جهة أخرى بالرغم من تعدد استراتيجيات الإنقاذ، التي كان الغرض منها رد الاعتبار للتراث المبني وإدماجه في مسلسل التنمية.

1.1. عرض ونقد الدراسات السابقة:

تنقسم المقالات التي اعتمدنها في هذه الدراسة إلى قسمين وهي:

القسم الأول: مقالات تتحدث عن المدينة القديمة بشكل عام (الدكاري&بنعاشور، 2016.، 71، ألفة حاج، 2002، 150، رامو& الندراوي& رامو 2016، 130) (Cattedra, 2003, 12)اشترك كل الباحثين إلى كون المدينة المغربية العتيقة تعاني من مجموعة من المشاكل التي تصعب من مأمورية التجديد الحضري، على مستوى المقاربة والتخطيط والتنفيذ:

– الضغط السكاني المرتفع، انتشار السكن غير اللائق الذي يفتقر للتجهيزات الأساسية، هشاشة البناء، الترييف....

وركزت (ألفة حاج.، 2002، 153) على مبادرة الدولة للتدخل في هاته المجالات العتيقة والمتمثلة في:

– ترميم البنايات، ترحيل الأنشطة الملوثة، تطوير البنية التحتية، تدعيم الصناعة التقليدية.

في حين اقترح (الدكاري & بنعاشور.، 2016، 67) بناء مشروع حضري شامل وهادف قوامه المحافظة على التراث الحالي وصيانته واستغلاله اقتصاديا، أما (رامو& الندراوي& رامو .2016، 118) فقد اقترحا تخفيف الضغط السكاني عن المدينة القديمة وتوسيع المجال الحضري.

القسم الثاني: تناولت هذه المقالات مع نذرتها موضوع تأهيل التراث المعماري للمدينة القديمة لوجدة وكذلك بنية الأنشطة الاقتصادية لهذه المدينة (مصطفى ن.، 1986، 122) (Goutouni A., 1983, 71)، وقد ركزت معظم هذه المقالات على مجموعة من مواطن الخلل بالمدينة القديمة والمتمثلة في:

– تدهور المباني نتيجة ارتفاع الكثافة السكانية، الضغط الاقتصادي نتيجة ارتفاع عدد المحلات التجارية وتأثيره على المشهد الحضري للمدينة القديمة، تقادم شبكة التطهير السائل وهشاشتها، تدهور المعالم التاريخية بالمدينة.

وقد اقترح الباحثون بعض الحلول لتجاوز سلبيات التأهيل الحضري الذي عرفته المدينة العتيقة لوجدة ضمانا لاستدامة التراث العمراني:

– المحافظة على المشهد التقليدي للمدينة من خلال الصيانة والترميم، التخفيف من حدة التركيز للأنشطة التجارية والخدماتية داخل المدينة للتقليل من حدة الضغط الناتج عن الساكنة والمترددين اليوميين على المدينة العتيقة (حميمي ع&مهدي ع&علال ز.،2015، 10).

ISSN : 2543-3970

2.1. الإشكالية البحثية

تشكل المدينة العتيقة لوجدة نسيجا حضريا معقدا، يستدعي التدخل فيه تخطيطا محكما وتدبيرا عقلانيا يأخذ بعين الاعتبار إشراك جميع الفاعلين في هذا الميدان نظرا لصعوبة المشاكل التي تعتري المجال، بسبب التهميش الذي يعاني منه منذ زمن طويل، لذا قامت الجماعة الحضرية وبشراكة مع مختلف الفاعلين العموميين منهم والخواص بإنجاز مجموعة من المشاريع التنموية من أجل رد الاعتبار للساكنة والمجال بالمدينة القديمة، لكن السؤال الإشكالي المطروح: ما مدى نجاعة مشاريع التأهيل والتجديد هذه في حل مشاكل المدينة العتيقة؟، وما مدى استجابتها لمتطلبات استدامة التراث العمراني والتاريخي؟ وماهي الإستراتيجية والآفاق المستقبلية التي يمكن من خلالها وعبرها تجاوز النواقص والاختلالات المسجلة؟

3.1. فرضيات البحث:

من خلال هذه الإشكالية المتمثلة في علاقة تدخلات التجديد الحضري بالمحافظة على التراث العمراني وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعمل على تحقيق الاستدامة بالمدينة القديمة، نقترح الفرضيات التالية والتي نتصورها الحلول التي يمكن اعتمادها لمعالجة التساؤلات المطروحة سابقا، ونسوق الفرضيات على الشكل التالي:

– تشترك مدينة وجدة مع المدن العتيقة، في إشكاليات عدة من بينها هشاشة البنيات، وشيخوخة النسيج الحضري الأصيل. وفي ظل صعوبة هذه المعضلات التي ما زالت تتفاقم وتتسارع، متمظهرة في ارتفاع قوة الضغط السكاني والاقتصادي المصاحب بضعف البنيات التحتية مما يؤدي إلى اتساع الانهيارات التي تمس المباني والمعالم الأثرية والتاريخية، ومن المفترض في ظل صعوبة رسم استراتيجية شاملة للتدخل والمعالجة، أن تستمر هذه المعضلة التي ستهدد الكيان الحضري لمدينة وجدة.

– تقتضي المحافظة على التراث العمراني والتاريخي تظافر جهود جميع الفاعلين، وبالنظر لحجم الإكراهات المطروحة وخاصة الموازنة بين المحافظة على التراث وتجودي الإطار السكني والمعيشي لسكان المدينة العتيقة التي تتطلب موارد مالية استثنائية وخبرات وتقنيات –قد لا تكون في متناول المصالح البلدية أو المصالح الخارجية–، فإن عمليات التدخل للحد من إشكالية التدهور العمراني الذي تعاني منه المدينة، تبقى محدودة ولا يمكنها أن تعالج هذه المعضلة معالجة جذرية.

4.1. أهداف البحث:

يروم هذا المقال عرض تجربة مدينة وجدة في مجال التجديد الحضري باعتبارها حالة فريدة، انتقلت من مظاهر مختلفة للتدهور العمراني والاختناق الحضري إلى مدينة منظمة، وبالتالي فالمقال يهدف إلى استعراض أهم محطات التجديد الحضري لحالة وجدة من خلال تحليل المحاور الآتية:

– تشخيص حالة التدهور التي تراكمت بالمدينة القديمة لوجدة؛

ISSN : 2543-3970

– الإجراءات والبرامج المنجزة لإعادة تأهيل تراثها العمراني؛

– تقييم جدوى هذه التدخلات ومدى استجابتها لمتطلبات استدامة التراث العمراني.

5.1. منهجية البحث:

لتأكيد الفرضيتين السابقتين وتحليل مختلف جوانب الإشكالية، فقد تم الاعتماد على منهجية تكمن خطوطها العريضة فيما يلي:

المنهج الوصفي من خلال الوقوف على مختلف جوانب التدهور الذي اعترى النسيج العمراني لوجدة العتيقة، من خلال تتبع مراحل التجديد الحضري في الميدان.

المنهج التاريخي المتعلق بتتبع مراحل نمو والتطور وما رافقتها من إشكاليات عويصة تهدد كيان المدينة العتيقة.

المنهج التوثيقي مكننا من تجميع المعطيات، بالقراءة النقدية للوثائق الرسمية التي واكبت مسلسل التجديد الحضري، فضلا عن قراءة ما كتب علميا حول المجال المدروس.

6.1. الجهاز المفهومي

سنحاول من خلال دراستنا لهذا العنصر الوقوف عند بعض المفاهيم المعتمدة في هذه الدراسة والمتمثلة في:

– المباني التاريخية: Les habitats historiques

هي المباني التي تشكل في مجموعها التراث المعماري لمنطقة ما، وتحمل قيما تاريخية اكتسبتها إما من خلال تميزها المعماري والجمالي، عمرها الطويل، أو ارتباطها بأحداث مهمة حدثت في المنطقة. تلك الأحداث قد تكون دينية، اقتصادية، اجتماعية وسياسية. وقد تتسع دائرة تصنيف المباني التاريخية لتشمل كل مبني يتجاوز عمره الخمسين عاما، – كما في القانون الإيطالي مثلا–. يعرف "فيلدن Feilden" المباني التاريخية في كتابه (Conservation of historic buildings) على أنها تلك المباني التي تعطينا الشعور بالإعجاب وتجعلنا بحاجة إلى معرفة المزيد عن الناس الذين سكنوها وعن ثقافتهم، وفيها قيم جمالية، معمارية تاريخية، أثرية، اقتصادية، اجتماعية وسياسية[1].

[1] - BERNARD M.F (2003), Conservation of historic buildings third edition, Architectural Press, p.1

ISSN : 2543-3970

- التجديد الحضري: Rénovation urbaine

يعرف بأنه تغير فيزيائي في الاستعمال أو في كثافة الاستعمال والمباني لجذب الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية في المناطق الحضرية، وهو عملية تكييف هيكل المدينة الحضرية وقطاعاتها بشكل مستمر للمتطلبات الحديثة للأفراد والمجتمع معتمدا على الإمكانات الاقتصادية والفنية المتاحة[1].

ويهم غالبا مراكز المدن القديمة أو تلك التي تقادمت بالنسيج الحضري الحديث وأصبحت لا تتلاءم مع مستوى إطار العيش، ولا تنسجم مع متطلبات المدينة في الوقت الحاضر، بعد أن تغيرت استجابة إلى ضغط التحولات الاجتماعية والاقتصادية ويتمثل في هدم المباني القديمة بأكملها وبتعويضها بمبان جديدة قائمة على أسس معمارية وعمرانية عصرية مع الأخذ بعين الاعتبار خصائصها الثقافية والهندسية وتناسقها مع النسيج الحضري المجاور[2].

- البنايات الآيلة للسقوط: Habitations menaçant ruine

هي بنايات مشيدة مهددة بالسقوط في أي وقت، مما قد يؤدي إلى تهديد سلامة قاطنيها أو المارين بجانبها، ويمكن كذلك أن تشمل الأجزاء المحاذية للبناية، من قبيل الشرفات والأسوار.... فالدور الآيلة للسقوط ممكن أن تكون حديثة أو قديمة، كما قد تكون مبنية وفقا لضوابط التعمير أو خارجها[3].

- الترميم: Restauration

يعد من الأساليب الأساسية المتبعة في سياسة المحافظة من أجل التعامل من البنايات الأثرية والتاريخية القديمة التي أصابها التصدع أو التشقق أو التعرية أو التآكل، حيث ألحق بها الضرر المادي لحالتها الإنشائية، ويعد الترميم في مثل هذه الحالات بمثابة مطلب ضروري لفرض الصيانة اللازمة دون المساس بالجوهر والعمق التاريخي والفني لمثل تلك الأبنية[4].

- إعادة التأهيل: Réhabilitation

هو وضع جملة من المحددات لإعادة المبنى بصورته الحالية لأداء وظائفه القديمة أو أي وظيفة جديدة مناسبة، وذلك من خلال الإصلاح أو التطوير مع الحفاظ على أجزاء المبنى وعناصره التي تحمل قيما تاريخية أو معمارية أو ثقافية مميزة عبر الأزمنة التي مرت على المبنى منذ إنشائه، هذا يعني إيجاد وظيفة جديدة للمبنى حتى يمكن الاستفادة منه

---

[1]– العساسفة سلامة طايع وجبور سعد الله والزغبي يحيى (2007) ، التجديد الحضري كأسلوب لمعالجة مراكز المدن، حالة مدينة الكرك القديمة في الأردن، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الثالث والعشرون–العدد الثاني، ص 242.

[2]–هلال عبد المجيد (2016)، المصطلحات المرتبطة بالتجديد الحضري مقاربة منهجية، ورد في، محمد الزر هوني (تنسيق) ' التجديد الحضري بالأنسجة العمرانية القديمة'، منشورات أشغال الدورة 27 للملتقى الثقافي لمدينة صفرو، ص 21.

[3] - Direction Général des collectivités locales, Direction du patrimoine (2014) , Plan d'Aménagement et de Sauvegarde de la médina d'Oujda, p11.

[4]– مجد نجدي ناجي المصري (2010)، تقييم أساليب وتقنيات الترميم في فلسطين نابلس حالة دراسية، رسالة الماجستير في هندسة العمارة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ص 29.

ISSN : 2543-3970

واستغلاله، وفي نفس الوقت نضمن الاستمرارية ونحافظ عليه عن طريق وجود سكان فيه يقومون بأعمال الصيانة باستمرار[1].

2. النتائج

إن قراءتنا للمعطيات المتاحة والتي تم جمعها ومعاينتها ميدانيا سمحت لنا بالتعرف أكثر على الإشكالات التي يعاني منها مجال الدراسة من خلال تسجيل الكثير من حالات التدهور.

1.2. أنتج مسار التعمير بالمدينة القديمة لوجدة عدة مشاكل عمرانية وتدهورا للتراث والمعمار

تعتبر مدينة وجدة من الناحية الإدارية مركز إقليم وجهة، وتتموقع على مستوى تقاطع خط العرض '34°41 شمالا وخط الطول '1°54 غربا.

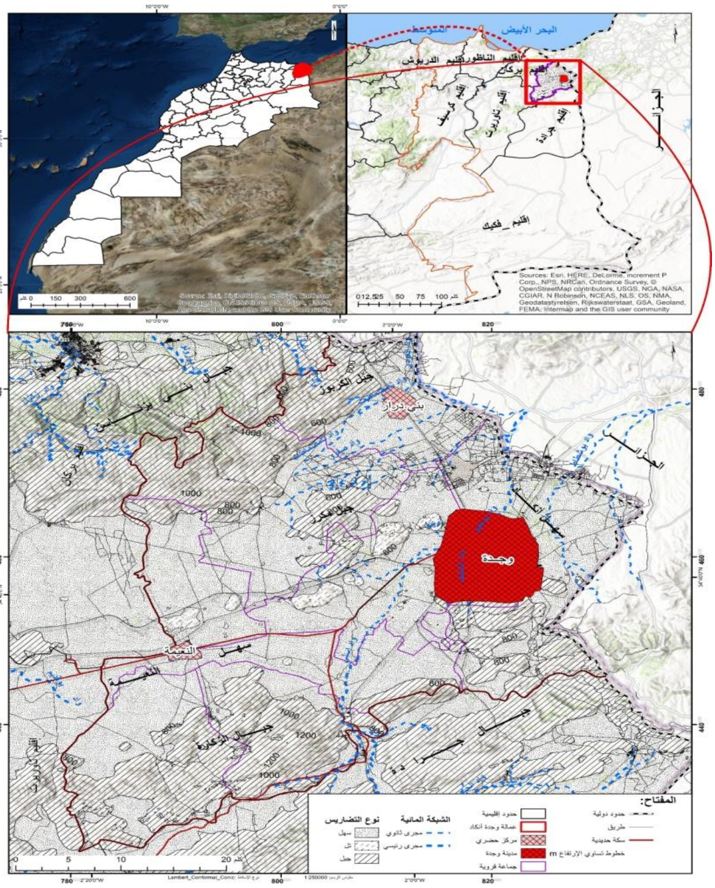

الخريطة (1): موقع مدينة وجدة إقليميا وجهويا ووطنيا

المصدر: عمل شخصي بالاعتماد على معطيات HCP وبيانات الوكالة الحضرية، وجدة.

[1] – المالكي قبيلة فارس (2004) ، التراث العمراني والمعماري في الوطن العربي –الحفاظ، الصيانة، إعادة التأهيل، دار النشر: عمان الوراق للنشر والتوزيع.ط1، ص 56.

ISSN : 2543-3970

ومن حيث الموضع الطبيعي، فالمدينة محصورة بين زوج بغال شمالا والحدود المغربية الجزائرية شرقا، أما جنوبا فتحد بجبل حمرا، في حين تحد من الغرب ببني وكيل. وقد أتاح هذا الموقع إلى حد كبير تحديد مستقبل المدينة من حيث توسعها ومن حيث نوعية المشاكل التي تعترض نموها العمراني والحضري.

تعتبر مدينة وجدة من المدن المغربية التي مضى على نشأتها أكثر من ألف سنة؛ أي مدينة الألفية، حيث وضع زيري بن عطية المغراوي حجر أساسها سنة 994 ميلادية[1]، فمنذ ذلك التاريخ شهدت حركات مد وجزر، وطالها التدهور نتيجة عوامل متعددة منها الطبيعية والبشرية.

1.1.2. تأثر التراث العمراني بالتدخلات المسترسلة للأجانب خلال فترة الحماية.

تعرضت مدينة وجدة، منذ خضوعها للسيطرة الفرنسية سنة 1907، لتدخلات متنوعة أضرت كثيرا بنسيجها العمراني التاريخي، كان أهمها:

– تشييد نواة سكنية استعمارية بالجهة الشمالية الغربية من المدينة لاستقبال الأجانب من الأوربيين واليهود القادمين من الغرب الجزائري[2].

–إدماج بنايات عصرية بالنسيج العمراني التقليدي كتعمير حي القصبة، وتشييد العمارات ذات الأربع طوابق، وتحويل حدائق باب الخميس إلى مرافق عمومية وهي مستشفى الكنيسة والإعدادية والبنك ومقر المحافظة العقارية.

– الاهتمام بتوسيع النشاط التجاري بالمدينة العتيقة من خلال إقامة مركبات تجارية بالمجالات الفارغة داخل الأسوار.

–هدم الأسوار الشمالية والغربية، كأهم حدث مدمر تعرضت له المدينة القديمة بوجدة خلال هذه الفترة، استجابة للطلب المتزايد على الأراضي للسكن وتوسيع الأنشطة التجارية.

2.1.2. فترة الاستقلال وتسريع وتيرة التدهور العمراني

استمرارا للتدهور الذي شهدته المدينة العتيقة لوجدة خلال فترة الحماية، فقد عرفت هذه الأخيرة ترديا لأوضاعها واستفحالا لتدهور عمرانها خلال فترة الاستقلال.

سوسيو اقتصاديا: بعد مغادرة الأجانب سنة 1956 عرفت المدينة العتيقة تحولات اجتماعية واقتصادية مهمة، تمثلت في تعويض المغاربة للأجانب إما كتجار أو كمقيمين، كما ارتفعت الهجرة القروية مما أدى إلى ارتفاع الكثافة السكانية التي بلغت 412 نسمة في الهكتار سنة 1960 وارتفعت إلى 926 نسمة في الهكتار سنة 2004 لتصل سنة

---

[1]– علي بن أبي زرع الفاسي (1972)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، ص. 105.

[2] - SAADI A (2000) , Plan local d'habitat et du développement urbain, ville d'Oujda, rapport définitif n° 1,p 9.

ISSN : 2543-3970

2018 إلى 932 نسمة في الهكتار[1]، وقد انتشرت بموازاة ذلك ظاهرة كراء المساكن، مما زاد من الضغط وبالتالي تدهور المباني.

كما تحتوي مدينة وجدة العتيقة على 2536 وحدة اقتصادية (2.8% من مجموع جهة الشرق)، وتؤمن أزيد من 4842 منصب شغل دائم (2.6% من مجموع هذه الجهة)[2].

عمرانيا: شهدت الأسوار عدة تغيرات كان أهمها هدم العديد من المساكن وتحويلها إلى محلات تجارية، في مقابل هذا الاهتمام الذي أعير للتجهيزات التجارية، لم تحظى البنية التحتية بالإهتمام المطلوب على مستوى تعبيد الممرات والأزقة، وإن على مستوى البنايات التي أصبحت مهددة بالتدهور بسبب الرطوبة المفرطة، كما أن شبكة التطهير وصفت إلى حدود مطلع القرن 21 بتدهورها على جميع المستويات بالرغم من بعض التدخلات التي كانت تروم تجاوز هذا المشكل[3]، كما أن المعالم العمرانية العتيقة أصبحت مهددة في هويتها الحضارية، فمن بين 1454 بناية تقليدية متعددة الوظائف، حوالي 40% منها أصبحت عند مطلع القرن في حالة سيئة، عدد مهم منها في حالة تضرر تام تستلزم تجديدا كليا، وقد وصل عدد المساكن الفارغة إلى 80 بعدما لم تعد آمنة للاستعمال[4].

الصور (1): حالة التدهور التي آلت إليها بعض البنيات داخل المدينة القديمة لوجدة

المصدر: صورة تم الحصول عليها من تقارير المفتشية الجهوية للسكنى والتعمير وسياسة المدينة، وجدة، 2002

[1]– معطيات تم الحصول عليها من المصالح البلدية لمدينة وجدة سنة 2018 (منوغرافية مدينة وجدة 2018) ، بالإضافة إلى معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى 1960 و 2004.

[2] - Haut. Commissariat au plan., 2008, les cahiers du plan, Médinas du Maroc, septembre-octobre, n°20, p 33.

[3] - RAHDOUNI E (2004), Réhabilitation de la médina d'Oujda : Approche méthodologique, Mémoire de 3e cycle, Institut National d'Aménagement et d'Urbanisme, Rabat, p 27.

[4] - SAADI A (2000), op., cit., p 25.

ISSN : 2543-3970

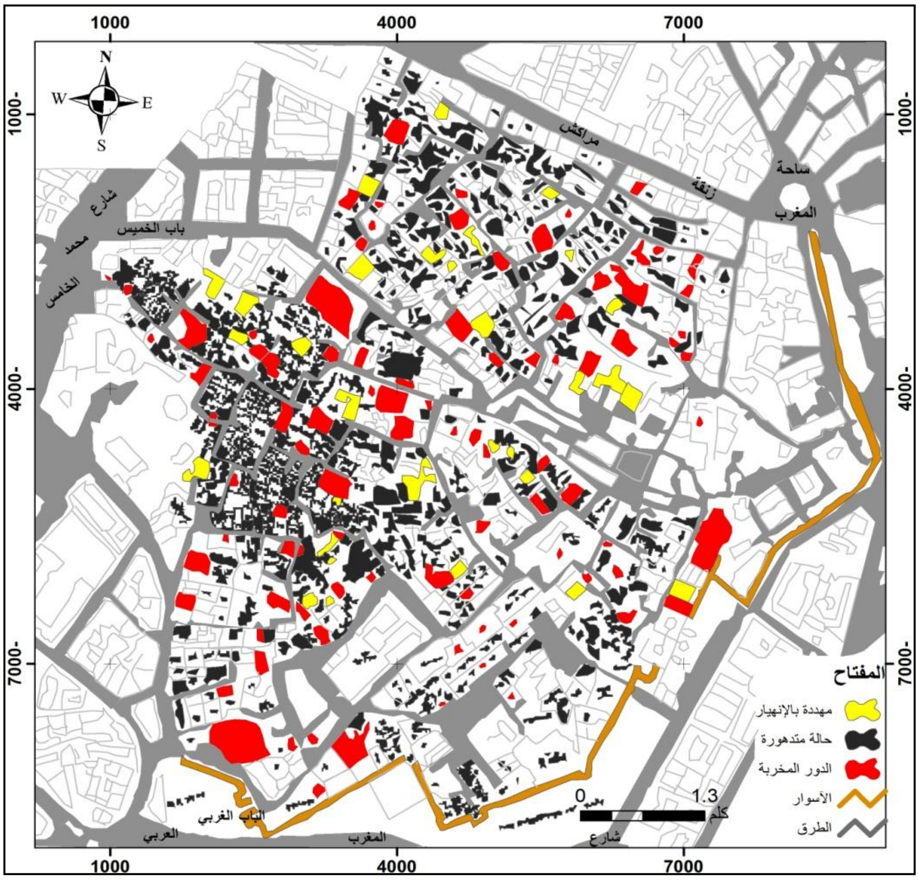

الخريطة (2): حالة الدور المتدهورة والمهددة بالانهيار والمخربة بمدينة وجدة العتيقة

المصدر: برنامج إعادة تأهيل وترميم المدينة العتيقة لوجدة، عمالة وجدة أنجاد، ولاية الجهة الشرقية، 2002

ومن هذا المنطلق كان من الضروري اعتماد تدابير استعجالية في إطار برنامج ومشاريع للإنقاذ ورد الاعتبار سواء ما تعلق منها بمشاريع ذات الأولوية المنجزة قبل 2006، أو تلك المعتمدة في إطار ما يعرف بسياسة التجديد أو التأهيل الحضري التي بدأت أولى أشغاله بمدينة وجدة ككل وبالمدينة العتيقة منذ هذه السنة (2006).

2.2. إجراءات التجديد والتأهيل العمراني بالمدينة القديمة

إن الوضعية التي آلت إليها العديد من المكونات التراثية للمدينة العتيقة بوجدة، مساجد، أبواب، أسوار...، بل إن اختفاء الكثير منها، جعل التفكير في التدخل لإنقاذ ورد الاعتبار لما تبقى من تراثها التاريخي مسألة ذات أهمية بالغة وضرورة ملحة، تلزم الفاعلين وعموم المواطنين من أجل تغيير نظرتهم ومواقفهم من التراث التاريخي والحضاري لمدينتهم، ثم العمل على اتخاذ الإجراءات والتدابير الكفيلة بإنقاذه من جهة، والبحث عن الوسائل والمقاربات الممكنة لرد الاعتبار له وتثمينه من جهة ثانية. إذن كيف يمكن تدبير وتأهيل هذا التراث الحضاري والمعماري المهدد بالاندثار؟ وهل البرامج والإجراءات المتخذة كانت كفيلة بتجاوز حالة التدهور التي تعيشها المدينة القديمة؟ وهل حافظت هذه البرامج على بعض المعالم التاريخية؟ وهل أثرت على القيمة المعمارية والتراثية؟ وهل تمت هذه التدخلات في إطار استراتيجية واضحة ودقيقة تعمل على إدماج التراث المبني في المخططات الطويلة ومتوسطة الأمد ومسلسلات التنمية؟.

ISSN : 2543-3970

1.2.2. مشاريع برامج التأهيل ورد الاعتبار للمدينة القديمة لوجدة.

اعتمدت السلطة المحلية عدة برامج شبيهة بتلك الخاصة بعمليات الصيانة الدورية التي كانت تقوم بها على مستوى أحياء الجماعة الحضرية لوجدة ككل مغيبة بذلك قيمة المدينة العتيقة التاريخية التي كان من الواجب منحها امتيازا خاصا، يأخذ بعين الاعتبار نموذجها الثقافي وبعدها الاجتماعي.

مستوى التدخل	المشاريع قبل 2006
البنية التحتية	صيانة وتجديد شبكة التطهير السائل.
الأزقة، والساحات	طلاء وتعبيد بعض الشوارع والأزقة، فتح طرق جديدة، تهيئة ساحة الباب الغربي.
المساكن القديمة	إعادة ترميم الدور الآيلة للسقوط
المآثر التاريخية	إعادة ترميم بعض أسوار المدينة القديمة، تهيئة منطقة القصبة المرينية.
مختلفات	تهيئة حديقة للا مريم
مستوى التدخل	**المشاريع المنجزة منذ 2006**
البنية التحتية	تقوية شبكات التطهير السائل، وقنوات الماء الصالح للشرب، وضع شبكة جديدة من الإنارة العمومية على مساحة 2.7 هكتار.
الأزقة	تهيئة الأزقة التجارية الكبرى الرابطة بين زنقة المازوري وساحة باب عبد الوهاب
المساكن القديمة	ترميم وتأهيل حوالي 40 مبنى آيلا للسقوط.
المآثر التاريخية	إصلاح وترميم المسجد الأعظم أو "الجامع الكبير" وترميم مدرسة سيدي زيان، وتجديد وإصلاح مبنى هيئة الأركان العامة التي كانت مقرا للقيادة الجهوية لسلطات الحماية الفرنسية، من خلال ترميم الجدران المتآكلة، وإصلاح الأرضية ونظام الصرف الصحي وشبكة الكهرباء، ترميم الأسوار التاريخية وإعادة بناء أجزائها الخربة وأبوابها القديمة كباب عبد الوهاب وباب الغربي وباب القصبة.
الساحات العمومية	تهيئة ساحات مقسم الماء وساحة العطارين وساحة قضاء الأسرة أو ساحة القصبة، من خلال تكسية الأرضية بالرخام المحلي وتنصيب النافورات، تهيئة الساحة الخارجية لباب عبد الوهاب وإفراغها من جميع القيساريات، ساحة باب الغربي، ساحة المغرب العربي،

الجدول (1): توزيع أهم البرامج المنجزة بالمدينة القديمة قبل وبعد 2006

المصدر: - مشروع رد الاعتبار للمدينة القديمة لوجدة، الوكالة الوطنية لمحاربة السكن غير اللائق ، وزارة إعداد التراب الوطني، والبيئة والتعمير والسكنى. كتابة الدولة للإسكان، مارس 2003.

– وزارة السكنى والتعمير وسياسة المدينة، ولاية جهة الشرق، الجماعة الحضرية، 2014.

- ACT consultants, 2009. P41.

مجلة أكاديمية دولية فصلية محكمة تعنى بنشر الدراسات والبحوث في المجال العمراني، تصدرها جامعة ابن خلدون تيارت - الجزائر

ISSN : 2543-3970

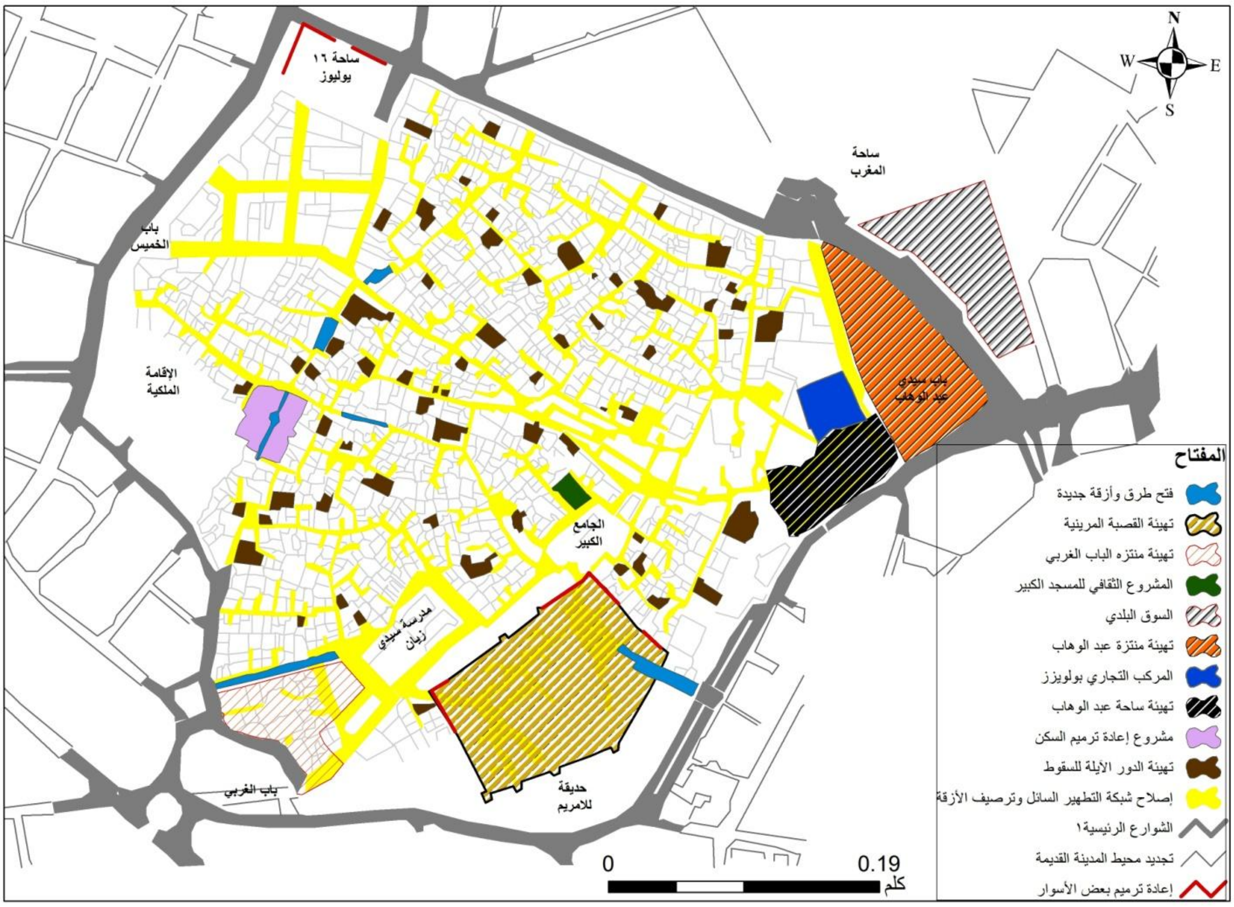

الخريطة (3) : توطين مشاريع التأهيل ورد الاعتبار المدينة القديمة لوجدة

المصدر: برنامج إعادة تأهيل وترميم المدينة العتيقة لوجدة، عمالة وجدة أنجاد، ولاية الجهة الشرقية.

2.2.2. نتائج وآثار برنامج التأهيل ورد الاعتبار للمدينة القديمة لوجدة

– النتائج والآثار الإيجابية:

عملت مشاريع التأهيل ورد الاعتبار للمدينة القديمة بوجدة الحفاظ على بعض المعالم التاريخية وإظهارها بصورة لائقة يستطيع الزائر تلمس معالمها كشواهد تراثية عريقة، كالأسوار والأبواب التاريخية، والجامع الكبير، والمقر القديم للقيادة العامة لسلطات الحماية، ومدرسة سيدي زيان.

بالإضافة إلى أنها تمكنت من توفير البنيات التحتية اللازمة للمدينة القديمة من قبيل تجديد وتقوية شبكة التطهير السائل، وقنوات الماء الصالح للشرب، ووضع شبكة جديدة من الإنارة، وإصلاح الأرضية وتعبيد بعض الشوارع والأزقة وفتح أخرى جديدة.

– النتائج والآثار السلبية:

إن التدخلات الحالية للفاعلين واستراتيجياهم في إنقاذ التراث المعماري ورد الإعتبار له، كان لها مجموعة من الآثار السلبية، حيث أن بعض هذه التدخلات قامت بإعادة توظيف بعض البنايات العمرانية إما بتحويلها إلى محلات لممارسة الأنشطة التجارية والخدماتية بالأزقة الحيوية والقريبة من الأسواق التقليدية، وإما إلى مقرات إدارية كما هو موجود في حي

ISSN : 2543-3970

القصبة. عمليات التحويل هذه استدعت إدخال تجديدات عصرية من قبيل الزخرفة وتزيين الواجهات مما أثر على القيمة المعمارية والتراثية لهذه المباني.

3. تفسير النتائج

انطلاقا من النتائج المحصل عليها يلاحظ أن تجديد النسيج العتيق بوجدة أو رد الاعتبار له لم يكن بالنجاعة الكافية، نظرا لأن مشاريع التأهيل تمت في غياب استراتيجية واضحة ودقيقة تأخذ بعين الاعتبار إدماج التراب في مسلسل التنمية، بدليل أنه لم يتعدى سقف ترميم الأسوار والسقايات التاريخية والتطهير وتنقية الدور المخربة، أو حتى إصلاح البنيات التحتية من أرصفة ومجار مائية وقنوات الصرف الصحي.

بالإضافة إلى أن هذه المشاريع لم تركز على حل الإشكالات العميقة التي تعاني منها المدينة القديمة لوجدة، حيث اقتصرت فقط على بعض التدخلات الشكلية خارج الأسوار، في حين لم تمس مظاهر الضغط التي شكلت عبر عقود مصدر ضرر لبنياتها التاريخية، فلا زالت أسواق عبد الوهاب العشوائية قائمة لحد الآن، واحتلال الملك العمومي من طرف التجار لا زال مستمرا بالإضافة إلى تحويل بعض الساحات إلى مواقف للسيارات.

كما أن غياب التنزيل الكلي للمشاريع التي تمت برمجتها بالإضافة إلى ضعف إنجاز برامج أخرى من قبيل تدخلات الترميم والإصلاح الموجهة للمنازل الآيلة للسقوط، يفسر لنا النتائج السلبية للمشروع.

4. مناقشة النتائج.

عموما يمكن أن نقول بأن ما تم التوصل إليه من نتائج مقبول، لأن فعلا مشاريع التأهيل ورد الاعتبار لم لكن بالنجاعة المطلوبة لأنها لم تركز على الإشكالات العميقة التي تتخبط فيها المدينة العتيقة لوجدة.

1.4. خلاصات

من خلال النتائج المحصل عليها في تشخيص أهم التدخلات يمكن أن نقول بأن:

– نسبة مهمة من التدخلات كان لها آثار اقتصادية ومجالية واجتماعية على المدينة القديمة لوجدة، حيث توفرت لها البنيات التحتية القاعدية، كما زادت من جاذبيتها الاقتصادية؛

– تبقى بعض التدخلات دون المستوى المطلوب حيث لا زالت العديد من الخروقات قائمة من قبيل إعادة ترميم الدور الآيلة للسقوط؛

– غياب هاجس استدامة التراث العمراني والمحافظة عليه في بعض التدخلات، نتيجة تحويل وظيفة بعض البنايات العمرانية إما لمحلات تجارية أو لمقرات إدارية؛

ISSN : 2543-3970

– أغلب التدخلات كانت ذات طابع شكلي ولم تركز على حل الإشكالات العميقة التي تعاني منها المدينة القديمة بوجدة.

5. اقتراحات وآفاق:

– البحث عن حلول للتخفيف من الضغط السكاني المرتفع الذي تعاني منه المدينة العتيقة بوجدة.

– تسريع وتيرة تنفيذ المشاريع خاصة تلك التي تهم إصلاح الدور الآيلة للسقوط لكونها تشكل خطرا على الساكنة.

– الانفتاح على الجمعيات الأجنبية المهتمة بتأهيل المدن التاريخية.

– اعتماد المقاربة التشاركية بين الفاعلين، فالتدخل في المدينة العتيقة يتطلب إشراك جميع المتدخلين والفاعلين المحليين والمجتمع المدني وانخراط الأسر المعنية في إطار برنامج مندمج كما يتطلب العمل على المدى البعيد.

– التركيز على التعاون والتشاور والاتفائية بين المتدخلين وعلى مستوى البرامج القطاعية.

– تنويع آليات التمويل وتطويرها، فإعادة الاعتبار للمدينة العتيقة يتطلب إمكانيات مالية كبيرة.

خاتمة:

يتضح مما سبق أن مدينة وجدة العتيقة بتاريخها العريق وتراثها المتميز يمكن إن هي استغلت بشكل عقلاني أو منظم، وإن هي راهنت على التراث والتأهيل الحضري الذي يأخذ بعين الاعتبار جميع الأبعاد، أن تساهم في تجاوز حالة الأزمة وأن تساهم في الدينامية الاقتصادية لمدينة وجدة بشكل عام، لكن وفي ظل مجموعة من المثبطات ومحدودية مشاريع التأهيل المنجزة لا بد من التفكير في برامج ومشاريع أخرى تكون موضع إجماع كل الفاعلين في المجال.

كما يقتضي التخطيط الحضري للمدينة احترام تنزيل مقتضيات تصميم التهيئة المنجز سنة 2007، من خلال توفير مجموعة من المتطلبات والتقليل من الضغوطات التي يعانيها التراث المعماري، وتوفير بنيات اقتصادية قادرة على استيعاب العمالة المحلية.

يجب الاعتراف بإن إشكالية التجديد الحضري جد معقدة، تتداخل فيها عدة متغيرات مؤسساتية وقانونية وتمويلية وعقارية وسياسية تتطلب رؤية واضحة ووضع آليات مناسبة لتسهيل عمليات الترميم والإصلاح وخلق ظروف جديدة للتنمية، تضمن استقرار الساكنة وتحسين ظروف عيشها، فالمعادلة التي نواجهها هي كيفية الحفاظ على التراث التاريخي الثري للمدينة العتيقة وتثمينه، وفي نفس الوقت الرفع من مؤشرات التنمية البشرية، ونظرا لهذا التعقد فقد تأكد مما سبق أن مختلف التدخلات لم يوفق إلى حد ما في معالجة الظواهر السلبية التي تعاني منها المدينة القديمة وأن أفق تفاقمها مفتوح على مصراعيه.

ISSN : 2543-3970

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: باللغة العربية

1. التقارير

– برنامج إعادة تأهيل وترميم المدينة العتيقة لوجدة، 2002، عمالة وجدة أنجاد، ولاية الجهة الشرقية.

– مشروع رد الاعتبار للمدينة القديمة لوجدة، مارس 2003، الوكالة الوطنية لمحاربة السكن غير اللائق، وزارة إعداد التراب الوطني، والبيئة والتعمير والسكنى. كتابة الدولة للإسكان.

2. الكتب

– علي بن أبي زرع الفاسي، 1972، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 446.

– المالكي ق.ف.، 2014، التراث العمراني والمعماري في الوطن العربي –الحفاظ، الصيانة،إعادة التأهيل، دار النشر: عمان الوراق للنشر والتوزيع.ط1، 1-202.

3. المقالات

– ألفة حاج علي.، 2002، الدينامية الديمغرافية بالمدينة العتيقة وانعكاساتها المجالية، الدينامية الديمغرافية بالمدينة العتيقة وانعكاساتها المجالية ورد في أقوضاض محمد (تنسيق)، الملتقى الوطني السادس للباحثين في جغرافية المدن حول موضوع المدينة المغربية العتيقة إشكاليات الحاضر وتحديات المستقبل، مراكش جامعة القاضي عياض، 143-157.

– حميمي ع&مهدي ع&علال ز.، 2016، مدينة وجدة العتيقة بين التأهيل الحضري واستدامة التراث العمراني، منشورات المجلة الإلكترونية جغرافية المغرب (الرابط: https://magazine-geo.blogspot.com/2016/04/blog-post_24.html)، 1-14.

– الدكاري ع& بنعاشور ع.، 2016، مدينة مولاي ادريس زرهون بين إرث الماضي وإكراهات التجديد والتأهيل الحضريين، ورد في، محمد الزرهوني (تنسيق) ' التجديد الحضري بالأنسجة العمرانية القديمة'، منشورات أشغال الدورة 27 للملتقى الثقافي لمدينة صفرو، 50-69.

– رامو ح& الندراوي م& رامو ر.، 2016، التجديد الحضري للمدن العتيقة بالمغرب تجربة ميدنة الصويرة، ورد في، محمد الزرهوني (تنسيق) ' التجديد الحضري بالأنسجة العمرانية القديمة'، منشورات أشغال الدورة 27 للملتقى الثقافي لمدينة صفرو، 102-130.

ISSN : 2543-3970

– العساسفة.س & جبور.س & الزعبي.س.، 2007، التجديد الحضري كأسلوب لمعالجة مشاكل مراكز المدن، حالة مدينة الكرك القديمة في الأردن، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الثالث والشرون–العدد الثاني، 231–273.

– النشوي م.، 1986، أثر المتغيرات السياسية والاقتصادية على تطور السكان بمدينة وجدة، سلسلة ندوات ومناظرات رقم (2)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة، 107–124.

– هلال عبد المجيد.، 2016، المصطلحات المرتبطة بالتجديد الحضري مقاربة منهجية، ورد في، محمد الزرهوني (تنسيق) ' التجديد الحضري بالأنسجة العمرانية القديمة'، منشورات أشغال الدورة 27 للملتقى الثقافي لمدينة صفرو، 11–28.

4. الرسائل الجامعية

– مجد نجدي ناجي المصري.، 2010، تقييم أساليب وتقنيات الترميم في فلسطين نابلس حالة دراسية، رسالة الماجستير في هندسة العمارة، كلية الدرسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 209.

ثانيا: المراجع باللغة الفرنسية

1.Rapports

- ACT consultants. (2009), SDAU du Grand Oujda. Chapitre 2 : population, peuplement. 65p.

- ACT consultants. (2010), Etablissement du Plan d'Aménagement d'Oujda rapport de la mission 2. Version définitive.206p.

- Haut. Commissariat au plan., 2008, les cahiers du plan, Médinas du Maroc, septembre-octobre, n°20, 59p.

- Ministère de l'Habitat, de l'Urbanisme et de l'Aménagement de l'Espace ; l'Agence Urbaine d'Oujda. (2007), Plan d'Aménagement et de Sauvegarde de la médina d'Oujda, 25p.

- Saadi A. (2000), Plan local d'habitat et du développement urbain, ville d'Oujda, rapport définitif n° 1, 16p.

2.Articles

- Guitouni. (1983), Activités tertiaires et structures urbaines de la médina d'Oujda, in Présent et avenir des médina, cahier de l'URBAMA, N°10-11, institut de géographie, Tours, pp 57-71.

- Raffaele C., 2003, Casablanca : la renonciation patrimoniale comme enjeu de l'identité urbain, Rive nord-Méditerranéennes (en ligne : https://journals.openedition.org/rives/436), pp 61-77.

3.les ouvrages

ISSN : 2543-3970

Bernard F., 2003, Conservation of historic buildings, London, Butterworth-Architecture publications, 388.

4. Mémoires

Rahdouni E. (2004), Réhabilitation de la médina d'Oujda : Approche méthodologique, Mémoire de 3e cycle, Institut National d'Aménagement et d'Urbanisme, Rabat, 243p.

ISSN : 2543-3970